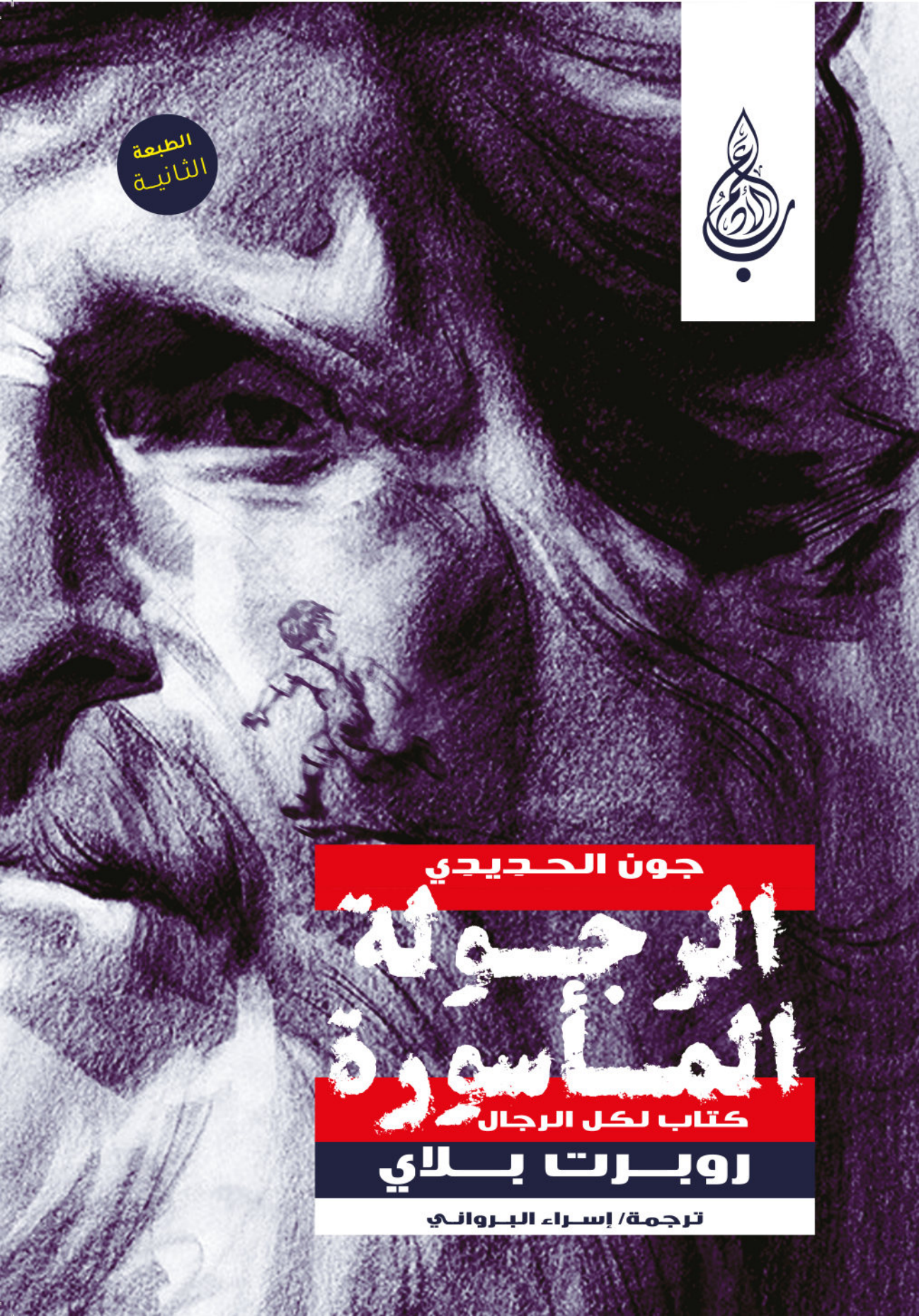

الطبعة الثانية

جون الحديدي

الرجولة المأسورة

كتاب لكل الرجال

روبرت بلاي

ترجمة/ إسراء البرواني

كتاب عن الرجال

عندما بُث لـ(بيل مويرز) على الإذاعة العامة حلقته حول (روبرت بلاي)، «جمهرة للرجال»، في شتاء ١٩٩٠م، جلبت جراءها فيضًا غير مسبوق من الاتصالات والرسائل من رجال ونساء يصدقون على حال الألم والتشوش الذي يمر به كثير من شباب العصر.

«جون الحديدي» هو كتاب (روبرت بلاي) الذي طال انتظاره، حول طقوس انتماء الذكور، ودور المعلم المرشد، وهو نتاج عشرة أعوام من العمل مع الرجال للوصول إلى حقائق الذكورة التي تتجاوز قوالب ثقافتنا العامة النمطية.

اتخذ (بلاي) من قصة (جون الحديدي) إطارًا لكتابه، وهي من بين ما استجمعه الأخوان جريم في بواكير القرن التاسع عشر، لكنها تعود في جوهر فكرتها وموضوعها إلى آلاف الأعوام. في القصة يغدو رجل عتيق «كثيف الشعر» -جون الحديدي- معلمًا مرشدًا لصبي يافع؛ ليكون كل حدث أو مغامرة مرحلةً من مراحل النضج على طريق الذكورة.

مع إعادة (بلاي) لرواية القصة، يتوقف من حين إلى آخر في تأمل لطقوس الانتماء التي تجري للذكور، والتي لا تزال تقام في بعض مناطق العالم، أو لا تزال محفوظةً في بعض الملاحم، على غرار الأوديسة. ومع مضيّ الكتاب قدمًا، نلقاه يبني صورةً ثريةً متماسكة حول ما كان يعنيه الانتقال من الصبيانية إلى الرجولة عبر الأزمان.

www.aalamaladab.com

السعر: 10 دولار
أو ما يعادلها

9 789778 564518

المحتويات

بين يدي الكتاب ٧

تَـقـدِيمٌ ٩

فصل/ الوِسَـادَةُ والمِفْتَاح ١٣

فصل/ حيـنَ تسـتحيلُ شَعـرةٌ واحِـدة ذهبًا ٤٣

فصل/ طريقُ الرَّمـاد والأسى والانحـدار ٧٣

فصل/ الـتَّوقُ إلى الملِك وقتَ يُـفتـقدُ الأب ١١١

فصل/ اللـقاءُ مع المرأةِ الإلهـيَّةِ في الحديقة ١٤٣

فصل/ ابـتعاثُ مُحاربي الـباطِن ١٦٧

فصل/ امتـطاءُ الفرس الكُميتيِّ والأبيض والأدهم ٢٠٣

فصل/ جُـرحُ رِجـالِ الملـك ٢٣١

خاتمة/ الرجلُ الوحشيُّ في الديـانات القديمة، والأدب، والفنون الشعبيَّة ٢٦٣

قِصَّـةُ جـون الحـديـديّ ٢٧٥

عينة للقراءة

بين يدي الكتاب

عندما بُثَّ لـ (**بيل مويرز**) على الإذاعةِ العامَّةِ حلقتَه حولَ (**روبرت بلاي**)، «**جَمهرةٌ للرِّجال**»، في شِتاءِ ١٩٩٠، جلبتْ جرَّاءَها فيضًا غيرَ مسبوقٍ من الاتصالات والرسائل من رجالٍ ونساءٍ يُصدِّقون على حالِ الألمِ والتشوُّشِ الذي يمرُّ به كثيرٌ من شبابِ العصر.

«**جون الحديديّ**» هو كِتابُ (**روبرت بلاي**) الذي طالَ انتظاره، حولَ طقوسِ انتماءِ الذكور، ودورِ المعلِّم المرشِد، وهو نِتاجُ عشر أعوامٍ من العملِ مع الرجالِ للوصولِ إلى حقائقِ الذكورةِ التي تتجاوزُ قوالب ثقافتنا العامَّة النمطيَّة.

وعلى ناموسِ (**بليك**)، و(**ييتس**)، و(**د.هـ. لورانس**) التفتَ (**بلاي**) إلى القصصِ والأساطيرِ الأقدم ليستخرجَ منها تذكرةَ الرجالِ والنساءِ بصورٍ ذاتِ أهليَّة قد طالما نُسيت، صورٍ لذكورةٍ مفعمةٍ بالحيويَّة، حامِيةٍ ومتمركزةِ الاتزانِ عاطفيًّا في آن.

اتخذَ (**بلاي**) من قِصَّةِ (**جون الحديديّ**) إطارًا لكتابه، وهي من بين ما استجمعَه الأخوان جريم في بواكير القرن التاسع عشر، لكنَّها تعودُ في جوهرِ فكرتِها وموضوعَها إلى آلافِ الأعوام. في القصَّة يغدو رجلٌ عتيقٌ «**كثيفُ الشَّعرِ**» -جون الحديديّ- معلِّمًا مُرشِدًا لصبيٍّ يافع، ليكونَ كلُّ حدثٍ أو مغامرة مرحلةً من مراحلِ النُّضجِ على طريقِ الذكورة.

مع إعادةِ (**بلاي**) لروايةِ القصَّة، يتوقَّفُ من حينٍ إلى آخر في تأمُّلٍ لطقوسِ الانتماء التي تُجرى للذكور، والتي لا تزالُ تُقامُ في بعضِ مناطقِ العالم، أو لا تزالُ محفوظةً في بعضِ الملاحم، على غرارِ الأوديسة. ومع مُضِيِّ الكتابِ قُدُمًا، نلقاه يبني صورةً ثريَّةً متماسِكة حولَ ما كانَ يعنيه الانتقالُ من الصبيانيَّة إلى الرجولةِ عبرَ الأزمان.

خلالَ ذلكم التاريخ الطويل من إجراءِ طقوسٍ للانتماء وقعَ على عاتقِ الرجالِ الأكبر دورٌ مِحوريّ.

عينة القراءة

«**ورغـم ذلـك، في عصرنـا هـذا، فالشبابُ اليافعـون، كمـا يرصـدُ (بـلاي)، في حـالِ جـوعٍ شـديدٍ لـلأب والمعلِّـم المرشـد بقـدرِ مـا يجـوعُ أحدُهـم للطعـام. ويبقـىٰ البعـضُ عالقيـن بنمط** «الرجل الجَلْد». **ويتـلكَّـأُ آخـرون في زاويـة** «السذاجة» التي تدمِّرُ العلاقـات، باقيـن في حـالٍ مـن تضعضُـعِ الثقـةِ بالنفسِ حـدَّ أنَّهـم قـد يكونـون مسـتقبِلين للحيـاة فقـط... لا مانحيـن لهـا.

وقـد سـيقَ رجـالٌ علـىٰ هـذه الشـاكلةِ في عصرِنـا الحالـيّ إلـىٰ نـوعٍ مـا مـن الوعـي «**الأسـمىٰ عُلـوًّا**» أو ربمـا إنجـازاتٍ «**أسـمىٰ**». ويعـرضُ (**بـلاي**) بـدلًا مـن ذلـك طريقًـا للانحدار، فيه تتعلَّـمُ الـروحُ كيف تأسىٰ. فكمـا تُـرينا قصَّـةُ (**جـون الحديـديِّ**) وغيرهـا مـن القصـص، فالأسـىٰ (**وقـتُ الرمـاد**) هـو بـوَّابـةُ الشُّعور.

يُـرشِدُ (**جـون الحديـديّ**) كذلـك إلـىٰ طريـقِ تطويـرِ مـا يدعـوه (**بـلاي**) بــ «**المحـارب الداخلـيّ**»، الـذي لا تتمثَّـلُ وظيفتُـه في العدوانيَّـة و العنف؛ بـل في فصلٍ مُـتَّزِن يصلُ بنـا إلـىٰ أن نعرفَ مـا نحبُّـه ونـدافعَ عنه.

هـذا الطريـقُ الطقوسيّ الطويـل يبـدأ بتحصيـل صِلـةٍ «**بالرجـلِ الوحشـيّ**»، الـذي يُعيـدُ وصلَـنا بـالأرضِ، ويسـاعدُنا -علـىٰ حـدِّ تعبير القِصَّـة- في «**سـرقةِ المفتاحِ من تحتِ وِسـادةِ الأمّ**».

لكـن علـىٰ خـلافِ (**فرويـد**)، فــ (**بـلاي**) «**لا يلـومُ الأمَّ**» علـىٰ مشـاكلِ الصبـيّ. وعلميَّـة إجـراءِ طقـوسِ الانتمـاءِ كمـا يقدِّمُهـا (**بـلاي**)، تُـقدِّرُ الأنوثـة وتتضمَّـنُ شَـراكةً مـع الأنوثـة. يحـوِّلُ هـذا الكتـابُ المسـئوليَّة إلـىٰ الرجـالِ الأكبر، واضعـًا علـىٰ عواتقِهـم هُـم مهمـة نقـل الصبـيِّ إلـىٰ عالـمِ الرِّجـال.

يمثِّـلُ (**جـون الحديـديّ**) في الوقـتِ ذاتِـه تصـوُّرًا جديـدًا وتصـوُّرًا بالـغَ القِـدَمِ للرجولـةِ الناضجـة، تلكـم التـي فيهـا عُمـق، وحيويَّـة، ورسـوخ. وكـذا يـعيدُ التـأكيدَ علـىٰ قـوة القصـص القديمـة في الإرشـادِ والشـفاءِ، وتوصيـل الحقائـق الأعمـق، وسيسـتمرُّ الرجـالُ والنسـاءُ في قراءتِـه لعقـود.

(**روبـرت بـلاي**) شـاعرٌ، وقـاصٌّ، ومترجِـم، ومحاضـرٌ عالمـيّ. فـازَ شـعرُه بالعديـد مـن الجوائـز، شـاملةً جائـزة الكتـابِ الوطنـيّ. وهـذا أوَّلُ كتـابٍ نثـريٍّ لـه. يعيـشُ مـع زوجتِـه (**رووث**) علـىٰ شـاطئِ بحيـرةٍ في (**مينيسـوتا**).

عينة للقراءة

تَـقـدِيمٌ

إِنَّـا نـعاصِرُ اليـومَ زمَـانَ خُصوبَةٍ جديرًا باسـترعاءِ العنايـة، فقدَ صارَ بيِّنًا الآنَ للرجالِ أنَّ مـا روَّجـتْ لـه الثقافةُ العامَّة وارتضتْه صـورةً للرجلِ في طـورِ استوائه ونُضجِه = قد بـلِيتْ واهـترأت. ومـا عـادَ ممكنًا لـه أن يعتمـدَ عليهـا. إذْ يكـونُ جليًّا للرجـلِ، مـع بلوغِـه منتصـفِ الثلاثينات، أنَّ مـا تـمَّ تصديـره لـه في مرحلـةِ الثانويَّـة مـن صـورٍ عـن الرجـل المثاليّ، القـويّ، الأصيـل = لا تجـدي في عُـرفِ الحيـاةِ الحقَّـةِ نفعًـا. ومَـنْ هـذه حالُـه لابـدَّ أنْ يكـونَ مُنـفتِحًا علىٰ رؤىً جديـدة؛ رؤىً عمَّـا يكـونُ -أو مـا ينبغـي أن يكونَـه الرجـل.

مضـتْ أقاصيـصُ الأسـاطير وحكايـا المدافئ،كمـا المـاء ينسربُ نـزولًا في خمسـينَ قدمًـا مـن التُّـرب، حتَّـىٰ رسـختْ في ضمائـر أجيـالٍ مـن الرجـالِ والنِّسَـاء. وتلكـم قصـصٌ نستطيعُ أن نُسيغَهـا ونمنحَهـا مـن ثقتِنـا مـا لا نمنحَـه لغيرهـا، كالتـي ألَّفهـا (**هانس كريستيان أندرسون**) علىٰ سـبيل المثـال. فالصـورُ التـي تمنحُـنا إياهـا أقاصيصُنـا الأقـدم -كالمفتـاح الـذي يُسـرَقُ مِـن تحـتِ وِسَـادَة الأمّ، والرِّيشـة الذهبيَّـة تُنتشَـلُ مـن رمـادِ طائـرِ النَّـار إذ تسـقطُ عـن صـدرِه وهـو يحـترق، والرَّجـل الوَحشِـيّ إذ يُكتَشـفُ تحـتَ مـاءِ البُحيـرة، وأن يقتفـي أحدُنـا آثـارَ جُرحِـه خـلالَ الغابَـةِ ليكتشَـفَ في الخاتمـةِ أنَّهـا كآثـارِ الإلـه- كلُّهـا ينبغـي أن تُـتركَ لتسـلكَ طريقَهـا إلـىٰ بواطِننـا بـكلِّ روِيَّـة، وستسـتمرُّ في الإغـداقِ شـيئًا فشـيئًا بمجـرَّدِ أن يبـدأ الاسـتيعاب.

وكـان ممـا حدَّثتنـا بـه الأسـاطيرُ القديمـة: الطاقـة الإيجابيَّـة للقيـادَةِ في الرجـل؛ طاقـة (**زيـوس**) -تلكـم التـي أصـرَّت الثقافـة الحديثـة علىٰ أنَّهـا خرافـة - ففـي قِصَّـةِ الملـك (**آرثر**) نتعلَّـمُ قيمـةَ حضـورِ الرجـل الـمُوجِّه في حيـاةِ الصَّبـيّ؛ ونسـمعُ في قِصَّـةِ (**جـون الحديـديّ**) عـن ضـرورةِ الانتقـالِ مـن عالـمِ الأمّ إلـىٰ عالـمِ الأب؛ وفي كلِّ القصـصِ التوجيهيَّـة نـدركُ مـدىٰ ضـرورةِ أن نتحـرَّرَ مـن إسـارِ توقُّعـاتِ آبائنـا كُليًّـا وأنْ نجـدَ الأبَ الثـاني أو «**الملِـكَ الجديـد**».

عينة للقراءة

هُنـاكَ طُقـوسُ انتمـاءٍ للذكـورة، وطُقـوسُ انتمـاءٍ للأنوثـة، وطقـوسُ انتمـاءٍ للإنسـانِيَّة. وفي هـذا الكِتـابِ أتحـدَّثُ عـن طُقـوسِ الانتمـاءِ للذكـورةِ فقـط. وأودُّ أن يكـونَ جليًّـا أنَّ هـذا الكتـاب لا يقصِـدُ بحـالٍ إلـىٰ إثـارةِ الرِّجـالِ ضِـدَّ النِّسـاءِ أو إلـىٰ إحيـاءِ النَّزعـةِ الاسـتبداديَّة التـي قـادَتْ إلـىٰ ظُلـمِ المـرأة وقِيَمِهـا عـبرَ القـرون. ووُجـهـةُ هـذا الكتـابِ لا تُؤسِّـسُ لتحـدٍّ ضِـدَّ الحركـةِ النِّسـويَّة. فـكلا الطريقيـن متصـلان؛ لكـنْ يعمـلُ كلٌّ علـىٰ جـدولٍ زمنـيّ مختلـف. إنَّ الأسـىٰ داخـلَ روحِ الرجـلِ يتضاعـفُ تدريجيًّـا منـذ بـدءِ الثـورةِ الصِّناعيَّـة وقـد بلـغَ هـذا الأسـىٰ اليـومَ عُمقًـا غائـرًا لا يمكـن تجاهلُـه.

إنَّ الجانـبَ المُظلِـم مـن الرِّجـالِ واضـح. واسـتـنفادُه المسـعور لذخائـرِ الأرض، وتحقيـرُ وإزدراءِ المـرأة، والولـعُ بالحـروبِ القومِيَّـة = كلُّـه بلـغَ حـدًّا لا يكـونُ معـه إنـكار. ولعـلَّ المـوروث الجينـيّ يُدلـي بـدورٍ في تشـكيل هوَسِـهم؛ لكـنْ كـذا الثقافـة والبيئـة.

لدينـا أسـاطيرُ علـىٰ قـدرٍ كبيـرٍ مـن الاختـلال تتعمـدُ تجاهُـلَ العمـقِ الذكـوريّ للمشـاعر، وتخصِّـصُ للرجـالِ مكانَهـم في السـماواتِ بـدلًا مـن الأرض، وتغـرسُ خضوعًـا للقـوىٰ الخاطئـة، وتعمـلُ علـىٰ أن تحتجـزَ الرِّجـالَ في طـورِ الصِّبيانيَّـة، وتربـطُ الرجـالَ والنِّسـاءَ علـىٰ سـواءٍ في أنظمـةِ هيمنـةٍ صِناعِيَّـة تجرِّدُهـم معًـا أمويًّـا وأبويًّـا.

أغلـبُ حديـثِ هـذا الكِتـابِ موَجَّـهٌ إلـىٰ الرَّجُـلِ سـويِّ الميـلِ جنسـيًّا؛ لكنَّـه لا يُقصـي مـع ذلـك ذوي الميـلِ الشـاذّ. لـم يكـن هنـاك مـن اسـتخـدامٍ مـن قبـلِ القـرن الثامـن عشـر قـط لمصطلـح «**سـويِّ المَيـلِ جنسـيًّا**»؛ قبـل هـذا العصـر كان الشـواذُّ مـن الرجـالِ مُسـتوعَبين ببسـاطةٍ داخـلَ مجتمـعِ الرجـالِ بعامَّتِـه. وعلـمُ الأسـاطيرِ كمـا أفهمُـه لا يضـعُ حواجـزَ تفريـقٍ بيـن الرجـلِ سـويِّ الميـلِ وشـاذِّه.

وحديثـي في هـذا الكتـابِ إنمـا هـو عـن الرَّجـلِ الوَحشِـيّ، واسـتحضارُ الفـارقِ بيـن الرجـلِ «**الوحشـيّ**» و«**الهَمَجِـيّ**» جوهـريٌّ خـلالَ رحلتِنـا. أمَّـا الهَمَجيَّـةُ فتُلحِـقُ بالـروحِ والأرضِ والإنسـانِيَّةِ أعظـمَ الأذىٰ، ولنـا أن نقـولَ إنَّ الرجـلَ الهَمَجِـيّ رغـم أنَّ بـه جُرحًـا غائـرًا إلا أنَّـه لا يرضـىٰ أن يلتفـتَ إليـه بالفحـص. أمَّـا الوحشِـيّ الـذي فحـصَ وتأمَّـل جُرحَـه فيمثِّلُـه راهِـب الـزّن، كاهـنُ الشَّـامان، أو حطَّـابُ غابـةٍ، بعيـدًا عـن مسـالكِ الهمجـيّ.

إنَّ الخـبرةَ ببـنـاءِ عُـشٍّ علـىٰ شـجرةٍ في العـراء، والهجـرة إلـىٰ المشـاتي، وأداء رقصَـةِ التَّـزاوج = كلُّ هـذا محـفـورٌ عميقًـا داخـلَ ذاكـرةِ الطُّيـورِ الفِطريَّـة. لكـن البَشَـر، نظـرًا لمـا قـد يحتاجونَـه مـن حـدودٍ بالغـةِ المرونـةِ لتوافِـقَ مـا يواجِهونَـه مـن أحـوالٍ ذات اختـلافٍ وجِـدَّة،

عينة للقراءة

اختـارُوا ألَّا يختَزِنُـوا تلكـم الخِـبرات في نظامِهـم الغَريـزيّ؛ واسـتودَعُوها في القِصـص. والقصـص، ومـن بعدِهـا الحكايـات، فالأسـاطير، فالخرافـات، فأحاديـث المدافـئ = بكونِها مستودعة جميعها في خزائِننـا، ومع احتفاظِنا بطرائـقَ مستحدثة للتَّلقِّي = تُـمكِّنُنا من تبـنِّيها عندمـا تَبلَـىٰ الطـرقُ التَّقليديَّـة والمعاصـرة.

كان مـن بيـنِ أمهـرِ تلاميـذِ تلكـم الذَّخائـر في القـرونِ الأخيـرةِ: (**جـورج جروديـك**) George Groddeck ، (**غوردجييـف**) Gurdjieff،(**كارل يونـغ**) Carl Jung، (**هينريتـش زيمـر**) Heinrich Zimmer، (**جوزيـف كامبـل**) Joseph Campbell، (**جـورج دومزيـل**) Georges Dumezil. وكانـتْ (**ماري لويز فون فرانز**) Marie–Louise von Franz) أوَّل مُعلِّمـةٍ فتحـتْ لـي أبـوابَ استكشـافِ الأسـطورة، وقـد اجتهـدتُ لأكـونَ علـىٰ درجـةِ الأصالـةِ نفسِـها في تناولـي قصـصَ الذكـورةِ قـدرَ مـا كانـتْ هـي مـع قصـصِ الأنوثـةِ في كُتبِهـا الوفيـرة.

يسترفِـدُ هـذا الكتـابُ مـن مجتمـعٍ كامـلٍ مـن الرِّجـال الذيـن أدلـىٰ كثيـرٌ منهم بإسـهامِه في هـذا الحقـلِ مـن قبـلِ أن أطـأه أنـا بزمـنٍ. يـأتيَ في مطلَعِهـم (**ألكسـاندر ميتشـلك(Alexander Mitscherlich المحلِّـلُ الألمـانيّ، الـذي تـوفي عـام ١٩٨١، وغيـرُه مـن خِيـرةِ المُفكِّرييـن الإنـجليز كذلـك. وأنَـا مُمتَـنٌّ بعُمـقٍ للرجـالِ الذيـن سَعِدتُ بالتدريـسِ لهـم خـلالِ الأعـوامِ الثمانيـةِ الأخيـرة**: (**مايـكل ميـد**) Michael Meade، (**جيمـس هيلمـان**) James Hillman، (**تيـري دوبسـون**) Terry Dobson، (**روبـرت مـور**) Robert Moore، (**جـون سـتوكس**) John Stokes، وآخريـن. وأشـكُرُ (**كيـث تومسـون**) Keith Thompson لاهتمامِـه بهـذه المـادَّة حـولَ الرِّجـال؛ كانَ البـابُ الأوَّل إعـادَةَ تسـجيلٍ لمحاورتِـه معـي. وكـذا أشـكُرُ مُحـرِّرَ كتابـاتي (**ويليـام باتريـك**) William Patrick، علـىٰ حماسِـه وبصيرَتِـه.

مُمتـنٌّ كذلـك للرجـالِ الكُثـرِ الذيـن أودعـوني مـن الثِّقـةِ مـا سَمـحَ لهـم بـأنْ يُحسنوا إلـيّ الإصغَـاءَ، وأعـزُّوني بـأن رَوَوا لـي قِصصَهـم الخاصَّـة، أو بـأنْ أنشـدُوا أو رقصُـوا أو بَكَـوا بـكل بسـاطةٍ فحسـب. ورغـم أنَّنـي في هـذا الكِتـابِ قـد اخـترتُ أن أقـدِّم لطريـقِ طقـوسِ الانتمـاءِ في ثمانيـةِ مراتـب، إلا أنَّ غيـري مـن الرجـالِ قـد يـرونَ لـه ترتيبًـا آخـرَ في مراتبِـه أو قـد يخالفُونهـا كُليًّـا.

إنَّما نصنعُ الطريقَ بمسيرِنا فيه. قال (**أنطونيو ماتشادو**) Antonio Machado:

أيُّها السَّائـر، ما مِنْ سَبيل،

ليسَ غيرَ آثارِ الرِّياحِ علىٰ صفحةِ البحر.

روبرت بلاي.

فصل/ الوِسَـادَةُ والمِفْتَاح

إِنَّـنا نـتحدَّثُ طويـلًا عـن «**الرَّجُـلِ الأمريكـيّ**»، كـأنَّما نعـرفُ لـه طبيـعةً ثـابتة بقيـتْ مُستـقِرَّة علـىٰ مـرِّ عقـودٍ، أو حتَّـىٰ خـلالَ عقـدٍ واحـد.

إنَّ رِجـالَ هـذا اليـوم قـد مالُـوا بعيـدًا عـن رَجُـلِ الطَّابَـع الزُّحَلِـيّ، الفـلَّاح ذي العقـل التقليـديّ، الفخـورِ بانطوائيَّتِـه، الـذي نـزلَ إنجلترا الجَديـدة New England عـام ١٦٣٠، علىٰ أتـمِّ الجاهزيَّـة لأنْ يجلـسَ في كنيسـةٍ خاليـةٍ مـن مواقـدِ التدفئـةِ خـلالَ ثـلاثٍ مـن خدماتِهـا. وفي الجنـوب نشـأتْ عُصبـةُ فُرسـان متوسِّعة، ولـم يكـنْ بيـن نموذجي «**الرجـلِ الأمريكـيّ**» مَـنْ يُمـثِّلُ مُنظِّـم سـكَكَ الحديـد الجشـع الـذي توسَّـع لاحِقًـا في الشـمالِ الشـرقيّ، أو مستوطني الغـرب المتهوريـن أصحـابَ قَالَـةِ «**لا حاجـةَ بـي إلـىٰ ثقافـة**».

وحتَّـىٰ في عصرنـا الـذي نعرفـه، فـإنَّ النمـوذجَ المتفـقَ عليـه للرجولـةِ قـد نالَـه تغييـرٌ عظيـم. خـلالَ الخمسـينات، علـىٰ سـبيل المثـال، ظَهـرتْ شـخصيَّة للرجـل الأمريكـيّ علـىٰ حـظٍّ مـن الثـراءِ، حتَّـىٰ غـدَتْ نموذجًـا للرجولـة تبنَّـاه عديـدٌ مـن الرجـالَ: نمـوذج رجـلِ الخمسـينات.

كانَ يُـكِّرَ إلـىٰ عملِـه، حمَّـالًا للمسـئوليَّة، يدعـمُ زوجتَـه وأبناءَه، ويعشَـقُ الانضباط. كانَ (**ريغـان**)[1] Reagan شـبيهًا بنسـخةٍ محنَّطـة لهـذا النمـوذج العنيـد. هـذا النـوعُ مـن الرِّجـالِ لـم يكـن يُبصـرُ روحَ المـرأةِ بطريقـةٍ جيِّـدة، لكنَّـه كانَ يـرىٰ القيمـةَ في جسـدِها، ونظرتُـه للثقافـةِ وإسـهام أمريكا فيهـا كانَ صِبيانيًّـا تفاؤليًّـا. وكثيـرٌ مـن مـيزاتِه كانـتْ متينـةً إيجابيَّة؛ لكـنْ مـن وراءِ الظَّـرفِ واللمعـةِ الزائفـة رسـخَ في العمـقِ -ومنـذ أزلٍ- كثيـرٌ مـن الانعزاليَّـة، والحِرمان، والاستسـلام. وبغيـرِ أن يكـونَ لـه عـدوٌّ= لا يجـدُ في نفسِـه يقينًـا أبـدًا مـن أنَّـه حَـيّ.

(١) (**رونـالد ريغن**) رئيس الولاليات المتحدة الأمريكيَّة الأسبق (١٩٨١- ١٩٨٩).

كانَ علىٰ رَجُلِ الخمسيناتِ أنْ يكونَ مُحبًّا لكرةِ القدم، عدوانيًّا، شديدَ التعصُّبِ للولاياتِ المُتَّحِدَة، كانَ عليه ألَّا يبكيَ أبدًا، وأنْ يكونَ دائمَ التَّأهُّب. أمَّا مساحَةُ التَّلقِّي والحميميَّة فكانتْ غائبةً فيه. افتقرتْ هذه الشخصيَّة إلىٰ حِسِّ الأريَحيَّة. وافتقرتْ روحُه إلىٰ التَّعاطُفِ بما ساقَ إلىٰ تعزيزِ حالة السَّعي غير المتَّزِنِ إلىٰ الحربِ الفيتناميَّة، تمامًا علىٰ غِرارِ ما أدَّىٰ إليه غيابُ ما نسمِّيه عادةً بـ«**المساحةِ الخضراء**» في عقل (**ريغان**) Reagan إلىٰ قسوتِه ووحشِيَّتِه تجَاهَ ضِعافِ السيلفادور، وتجاهَ العجائز كبارِ السنِّ هنا، والعاطلين، وأطفال المدارِسِ، وعامَّة الفقراء.

كانَ رجلُ الخمسيناتِ يملكُ رؤيَةً واضِحَةً حولَ ما ينبغي أن يكونَه الرَّجُل، وما يقعُ علىٰ عاتِقِه من مسئوليَّات؛ لكنَّ فرديَّةَ تكوُّنِ رؤاه وتأصُّل التحيُّزِ فيها جَعلَها بالغةَ الخطورة.

خلالَ السِّتينات ظهرَ نموذجٌ جديدٌ للرجل. كانتْ خسائرُ حربِ فيتنام وعنفُها قد أثارَ التساؤلاتِ في نفوسِ الرجالِ عمَّا إذا كانُوا مُحيطين حقًّا بما ينبغي أن يكونَ عليه الرَّجُل البالِغ. إنْ كانتِ الرجولةُ تعني فيتنام، فهل هذا هو ما يرغبون فيه حقًّا؟ وفي تلكم الأثناء لفتت الحركةُ النِّسويَّة أنظارَ الرجالِ إلىٰ المرأة، وأجبرتْهم علىٰ أنْ يوجِّهوا وعيهم إلىٰ القضايا والهموم التي تعمَّدَ رجلُ الخمسينات أن يجنِّبَ نفسه عناءَها. ومع تحوُّلِ الرجالِ إلىٰ النظرِ في تاريخِ المرأةِ وحالِها، بدأ بعضُهم يتنبَّهونَ إلىٰ ما يُدعىٰ بـ«**جانبِهم الأنثويّ**»، لِيولُوه جانبًا من عِنايَتِهم. هذا الحالُ قائمٌ إلىٰ يومِنا هذا، وأستطيعُ أن أقولَ إنَّ كثيرًا من الرجالِ المعاصِرين مَعنِيُّون بالأمرِ علىٰ الدرجةِ نفسِها.

ثمَّةَ ما هو حَسَنٌ في هذا التطوُّر -أعني محاولةَ الرجالِ للترحيبِ بجانبِهم الأنثويّ والاعتناء به- فالأمرُ ضروريّ بالفعل- لكنِّي مع ذلك أستشعرُ في المسألةِ خللًا ما. فقد غدا الرجلُ في العشرين سنةً الماضية أرصنَ فِكرًا وأكثرَ لُطفًا؛ لكنَّه لم يغدُ خلالَ هذه المعالجةِ أكثرَ حُريَّةً. فهو صَبِيٌّ مُهذَّبٌ لا يُرضي أمَّه فحسب؛ لكنْ السَّيِّدة الشابَّة التي يعيشُ معها أيضًا.

في السبعينات تراءتْ لي ظاهرةٌ منتشرةٌ في أرجاءِ البلاد قد يصحُّ أن ندعوَها «**الرَّجُلَ النَّاعِم**». وما زالَ الأمرُ جاريًا حتَّىٰ اليوم، حينَ أتأمَّلُ جمعًا من الحضورِ، أكادُ أجدُ أنَّ نصفَ الشبابِ بينهم ينطبقُ عليهم هذا الوصف. هم أناسٌ مُحبَّبون إلىٰ النفسِ،

عينة للقراءة